﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [الجن: 26 - 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

تأكيدُ نفي علمِ النبي بوقت قيام السّاعة

لمّا نفى ﷺ علمَ وقتِ تعيين وقوعِ العذاب وقيامِ السّاعة عن نفسه الشّريفة؛ نفى ذلك عن غيره على وجهٍ عام لجميعِ الغيب، معظّمًا من أرسله سبحانه بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾: مَصْدَرُ الفعل (غابَ يغيبُ غَيْبًا)، والغيبُ: كلُّ ما غابَ عنك، وأصله يدلُّ على تَستُّرِ الشَّيءِ عنِ العُيون، فكُلُّ ما غابَ عَنِ العيونِ، سواءٌ كانَ مُحَصَّلًا في القلوب، أمْ غَيرَ مُحَصَّلٍ؛ فهو غيبٌ[2]، ويُطلقُ الغيبُ على المُطْمَئِنِّ مِنَ الأرضِ[3]، وهو ما انخفضَ مِنْها، وهو راجِعٌ إلى الأوَّلِ؛ إذِ الدّاخِلُ في مُطمَئِنِّ الأرض يكونُ غائبًا مَخفيًّا عَنِ العيونِ[4]، ومعنى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: عالمُ ما غابَ عن أبصار خلقه، وخفيَ عن أنظارهم[5].

2) ﴿ٱرۡتَضَىٰ﴾: أصْلُ الجذر (رضي) واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ السُّخطِ[6]، ورِضا العبدِ عن اللّه: ألّا يكرهَ ما يجري به قضاؤه، ورِضا اللّهِ عن العبد هو أنْ يراهُ مُؤتمرًا بأمره، ومنتهيًا عن نهيه[7]، وارتضى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 500.
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والرّاغب، المفردات: (غيب).
(3) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (غيب).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 84.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 671، والصابوني، صفوة التفاسير: 3/ 437.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رضي).
(7) الرّاغب، المفردات: (رضي).

الأمرَ: رَضيه، أي: اختاره، وقبِله[1]، ومعنى ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ أي: إلا من اختارهُ اللّهُ، واصطفاه لِلاطِّلاعِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الغَيْبِ لِحِكمَةٍ أرادَها اللّه تَعالَى[2].

3) ﴿رَصَدًا﴾: أصلُ (رصد) هو التَّهَيُّؤُ لِرقْبَةِ شَيْءٍ عَلَى مَسْلَكِه، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْه ما يُشاكِلُهُ[3]، والراصِدُ بِالشَّيْءِ: الرّاقِبُ لَهُ، رَصَدَه بِالخَيْرِ وغَيْرِه يَرْصُدُه رَصْدًا ورَصَدًا: يَرْقُبُهُ، ورصدته: قعدتُ له على طريقه أترقّبه، وفي التَّنْزيلِ العَزيز: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا﴾، أي: إذا نَزَلَ المَلَك بِالوَحْي؛ أرسلَ اللّه مَعَهُ رَصَدًا يَحْفَظونَ المَلَكَ مِنْ أن يأْتيَ أحدٌ مِنَ الجِنِّ، فيستمعَ الوَحْيَ، فيخبرَ بِهِ الكَهَنَةَ، ويُخْبِروا بِهِ النّاسَ[4]، أي: معنى ﴿رَصَدًا﴾: حرسًا وحفظة يحفظونه من الجنّ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تفرُّدُ اللهِ بعلمِ الغيبِ المطلقِ

هو وحْدَه ﷻ عالِمٌ بما غابَ عن خَلقِه، فلا يُطلِعُ على عِلمِ الغَيبِ - الَّذي اختَصَّ به - أحدًا مِن خَلْقِه، فيُعْلِمَه، أو يريَه إيّاه إلا من ارتضى من رسولٍ، فإنَّه يُظهره على ما شاء من ذلك[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرّ فصلِ هذه الآية عما قبلها:

تقريرُ عدمِ علْمِ النَّبي ﷺ بوقتِ قيامِ السّاعة

قولُه تعالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ استِئنافٌ مُقرِّرٌ لِما قبْلَه مِن عدَمِ الدِّراية بتعيين وقتِ وقوع العذاب وقيامِ الساعة، وهو أحدُ الغيبياتِ التي استأثرَ اللّهُ بعلْمِها[7].

---

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (رضو).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 248، والصابوني، صفوة التفاسير: 3/ 437.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رصد).
(4) الزمخشري، أساس البلاغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رصد).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 671.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 671.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 47.

فائدة حذفِ المسند إليه:

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذوفٍ، أيْ: هو عالمُ الغَيْبِ، والضَّميرُ المَحْذوفُ عائِدٌ إلى المُسْنَدِ إلَيْهِ، وهو لفظ (رَبّي)، وقد حُذِفَ اختصارًا؛ لكونه قد ذُكِر سابقًا في الكلام[1]، مما يُبرزُ المعنى بتركيزٍ، ويُجنِّبُ التكرارَ، ويجذبُ الانتباهَ، ويجعلُ البيانَ أكثرَ قوةً وسلاسةً.

اختصارٌ يعزّزُ قوّةَ التّركيز، ويجذبُ الانتباهَ في بيانِ صفة الربوبية

دلالة التّعبير بالجملة الاسمية:

عبّر البيانُ الحكيمُ بالجملةِ الاسميةِ، وهي قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ دون الفعلية، فلم يقلْ: (يعلم الغيب)؛ للدلالة على ثبوتِ الصفة ودوامها، أي: علمُ اللّه للغيب صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ للّه لا تنفكّ عنه، وليست طارئةً أو مؤقتةً، ولو عبّر بالفعليةِ؛ لأوهمَ التجدّدَ والحدوث في الزمان.

علمُ الله تعالى للغيب صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ له سبحانه لا تنفكّ عنه

دلالةُ التّعبير بلفظ ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾:

آثرَ البيانُ الحكيمُ لفظَ ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ دون الخفاء؛ لأنَّ الآية تتحدّثُ عن علمٍ إلهي مطلَقٍ لا يطّلعُ عليه أحدٌ، وليس أمرًا خفيًا قد يُدركُ بالحواس، أو يُكتشف، ولأنّه من عادة القرآن أنْ يقترنَ الغيب بالوحي لا الخفي؛ لأنّ الوحي يُنبئ عن أمورٍ لا سبيلَ للعقل أو الحسّ أنْ يُدركها، ولتحقيق التناغم مع السورة وموضوعها، فالسورةُ تتحدّثُ عن أمورٍ غيبيَّة، وبخاصةٍ التي لا تُدركُ إلا بالوحي من استماع الجنّ للقرآن، وحديثهم عن الوحي، ومشاهد من القيامة.

دِقّةُ التّعبير في مقامِ الحديثِ عن الوحي وأسرار الآخرة

دلالة القصر في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾:

يفيد تَعريفُ المُسنَدِ إليه المُقدَّرِ (هو) في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: القصْرَ الحقيقيَّ، والمعنى: هو عالمُ الغيب لا أنا، أي: هو سبحانه مختصّ بعلمه[2]، قال القرطبي: "لما تمدَّحَ سبحانه بعلم

لا يعلمُ الغيبَ أحدٌ سوى الله

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 247.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 500، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 247.

الغيب، واستأثر به دون خلقه؛ كان فيه دليلٌ على أنّه لا يعلمُ الغيب أحدٌ سواه"[1].

دلالة تعريف لفظ ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾:

تَعريفُ ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ تَعريفُ الجِنسِ، ومِنْ ثمَّ فإضافةُ صفة ﴿عَٰلِمُ﴾ إلى ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ تُفيدُ علمَ اللّه بالغيب كله[2]، أي: بكلِّ الحقائقِ المُغيَّبة، سواءٌ كانت ماهيّاتٍ أو أفرادًا، فيَشملُ المعْنى المَصدريَّ للغَيب، مِثلَ علمِ اللّهِ بذاته وصِفاته، ويَشملُ الأُمورَ الغائبةَ بذاتها، مِثلَ الملائكة والجنِّ، ويَشملُ الذَّوات المُغيَّبةَ عن علمِ النّاس، مِثلَ الوقائعِ المُستقبَلة الَّتي يُخبَرُ عنها، أو الَّتي لا يُخبَرُ عنها، فإيثارُ المَصدرِ هنا؛ لأنَّه أشمَلُ لإحاطةِ علمِ اللّهِ بجَميعِ ذلك[3].

تأكيدُ شمولِ علم الله تعالى لكافةِ حقائقِ الغيبِ وأبعاده

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾:

تأتي الفاء في الآية؛ لتَفريعِ حُكْمٍ على حُكْمٍ سابق؛ إذ إنّها تربطُ بين تخصيصِ اللّه تعالى بعلمِ الغيب وبين الجملة التالية: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾؛ ليكون الحكمُ المفرَّع إتمامًا للتعليل وتفصيلًا لحالات عدمِ اطلاع أيّ أحدٍ على غيب اللّه[4].

تفريعٌ للتعليل وتفصيلٌ بعدمِ اطلاع أحد على غيب الله

دلالة النفي بـ(لا) في قوله: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾:

التّعبير بأداة النفي (لا) لإفادة نفي الحدوث بصورة دائمة، فلا يظهرُ على غيبِ اللّه أحدٌ بوجهٍ من الوجوه في وقت من الأوقات[5]، باستثناء ما استثنى اللّه، في حين أنَّ الأداة (لم) تفيدُ نفي حدوث الفعل في الماضي فقط، و(لن) نفي المستقبل، وأمّا (ما)؛ فقد تكون نفيًا عامًّا، لكنّه أقلُّ تأكيدًا على الاستمرارية.

الدوامُ والاستمرارُ في نفي الاطلاع على الغيب

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 28.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 2/ 500.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 247.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 500، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 47، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 247.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 500.

دلالةُ التعبير بفعل الإظهار دون غيره:

نفي التَّمكُّنِ مِن الاطِّلاعِ التامّ تأكيدٌ على خصوصية الغيب الإلهي

المعنى في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾ هو: لا يُطْلِعُ أحدًا، ولا يُنبِئه بغَيبه، لكنّ البيان القرآني آثرَ لفظَ ﴿يُظۡهِرُ﴾ دون (يُطْلِع)؛ لِما في ﴿يُظۡهِرُ﴾ من قوّةٍ في الدلالة على خصوصية الغيب الإلهي، فاللفظ مأخوذ من الظُّهور، أي: المشاهدة العيانية، وفيه تضمينٌ لمعنى الإطْلاع، ولذلك عُدّي الفعل بـ﴿عَلَىٰ﴾؛ ليدلَّ على التَّمكُّنِ مِن الاطِّلاعِ التامّ والانكشاف الكامل، لا مجرّد الإعلام[1].

دلالة وقوع الفعل ومَفعولِه في حيز النفي:

عمومُ المنع يُبرزُ عظمةَ الغيب وخصوصيته المطلقة بالله وحده

أفادَ وقوعُ الفعل: ﴿يُظۡهِرُ﴾ ومفعوله: ﴿أَحَدًا﴾ - الذي جاء نكرة في سياق النفي - العمومَ، أي: لا يُطْلِع اللّهُ على شيء من غيبِه أحدًا من الخلق أيًّا كان، في أيّ وقتٍ، وبأيّ وجهٍ، ممّا يُبرزُ عظمةَ هذا الغيب وخصوصيته المطلقة باللّه وحده.

دلالة وضع المظهر موضع المضمر في قوله: ﴿غَيۡبِهِۦٓ﴾:

إبرازُ عظمة الغيب الإلهي، فهو الأعظمُ والأعزّ

أظهرَ البيانُ الحكيم لفظَ الغيب في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾، ولم يضمره برغم أنه سبقَ ذكره، فلم يقل: (فلا يظهر عليه)؛ إبرازًا لعظمة الغيب الإلهي، فغيبُه هو الأعظمُ والأخطرُ والأعزُّ، فلا يُكشف أحد إلا بإذن اللّه.

الغرض من الإضافة في قوله: ﴿غَيۡبِهِۦٓ﴾:

إضافةٌ تُبرزُ انفرادَ الله بعلم الغيب، وتعزِّزُ معنى القصر

في قوله تعالى: ﴿غَيۡبِهِۦٓ﴾ جاء الاسم مضافًا إلى الضمير، ممّا أكسبه تعريفًا يفيدُ الاختصاص، أي: الغيب الذي يختصّ اللّهُ تعالى بعلمه[2]، فهو غيبٌ مغيَّب عن غيره، لا يطّلع عليه أحدٌ سواه، وهذه الإضافة تُبرزُ انفرادَ اللّه بعلم الغيب، وتعزّز معنى القصر المستفاد من السياق.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 247 - 248.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 500.

سرّ تقديم شبه الجملة ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ﴾ على المفعول به ﴿أَحَدًا﴾:

قدّم النظمُ الحكيم الجار والمجرور ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ﴾ على المفعول به ﴿أَحَدًا﴾؛ اهتمامًا بالمُقدم، وهو الغيبُ المطلق الأعزُّ خاصة المَلِكِ سبحانه وتعظيمًا لاختصاصِ الله به، وحفاظًا على جرسِ الآية، وتناسقِ الفواصل.

اهتمامٌ بالغيب المطلق الأعزّ وتعظيمُ اختصاص الله به

بلاغة الاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾:

﴿إِلَّا﴾ أداة حصرٍ، والاستثناءُ إمّا منقطعٌ، أي: لكن من ارتضاه، فإنّه يظهره على ما يشاء من غيبه بالوحي[1]، أو استثناء متصل، وقوله: ﴿ٱرۡتَضَىٰ﴾ مستثنى من عموم ﴿أَحَدًا﴾، والتقدير: إلّا أحدًا ارتضاه، أي: اختاره للاطلاع على شيء من الغيب لحكمة أرادها الله تعالى[2].

الاستثناءُ يعمّقُ التفرّد الإلهي بالعلم الغيب والحكمة المطلقة

والاستثناءُ في الآية يعطي شعورًا أنَّ الاطلاعَ على الغيب ليس مطلقًا، بل مشروطٌ بحكمة خاصة، وهذا يعمّقُ مفهومَ التفرُّد الإلهي بالعلم الغيبي، ويشدِّدُ على جلالة الله وقدرته في تدبير الأمور بعلم وحكمة.

دلالة التعبير بالموصول وصلته في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾:

أتى البيانُ الحكيم بالمَوصولِ والصِّلةِ في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾؛ لقَصْدِ ما تُؤذِنُ به الصِّلةُ مِن الإيماءِ إلى تَعليلِ الخبَرِ، أي: يُطلِعُ اللهُ بَعضَ رُسلِه لأجلِ ما أرادهُ اللهُ مِن الرِّسالةِ إلى النّاسِ، فيعلم من هذا أنَّ الغيبَ الذي يطلع اللهُ عليه الرسل هو من نوعِ ما له تعلُّق بالرسالة، ممّا له تعلُّق بالوعد والوعيد من أمور الآخرة، أو أمور الدنيا، أو ما يؤيّد به الرسل عن الإخبار بأمور مغيبة[3].

استثناءُ الاطلاع على الغيب لأجلِ مهمة الرسالة

دلالة التعبير بالفعل ﴿ٱرۡتَضَىٰ﴾ ماضيًا:

آثر البيانُ القرآني التعبير بصيغة الماضي في قوله: ﴿ٱرۡتَضَىٰ﴾

مَن أطلعهُ اللهُ على الغيب تمّ اختياره ووقعَ الرضا عليه

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 251.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 248.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 248.

دون المضارع (يرتضي)، مع أنّ الفعل متعلّقٌ بالله، ورضاه لا ينقطعُ بزمان؛ للدلالة على التحقُّق والثبوت والحسم والقطع، أي: من أطلعه الله على الغيب، فقد انتهى أمره، ووقعَ الرضا عليه، وتمّ اختياره، وهذا أبلغُ في بيانِ قَطع الطريق أمامَ أيّ دعوى كاذبة لعلم الغيب أو للوحي.

معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ﴾:

بيانُ من ارتضاه اللهُ من الرسل أو بعضهم ليطلعهم على الغيب

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ إمّا بيانيّةٌ؛ لبيانِ إبهام ﴿مَنِ﴾ الموصولة، أي: بيانُ المقصودِ بمن ارتضاه الله؛ ليُطلعه على الغيب من الملائكة ومن الناس، فإنه يظهر غيبه على ذلك المرتضى الموصوف لا كلّ مرتضى[1]، أو للتبعيض، أي: يطلعُ اللهُ بعض رسله لأجل ما أراده الله من الرسالة إلى الناس[2].

نكتة تنكير لفظ ﴿رَّسُولٍ﴾:

اصطفاءُ الله لرسله من الملائكة والبشر تفخيمٌ وتعظيمٌ لهم

عبّر البيانُ الحكيمُ بلفظ ﴿رَّسُولٍ﴾ دون (نبيّ)؛ ليدلّ على كلّ من أُرسل من عند الله تعالى، سواء أكان من الملائكة المبلّغين للوحي كجبريل ﷺ أم من البشر المكلّفين بتبليغ رسالات الله إلى الناس، فيدخل في اللفظ كلّ من يتلقّى أمرًا إلهيًّا بالتبليغ، أيًّا كان جنسه[3]، أما لو عبّر بـ(نبيّ)؛ لاختصّ بالبشر فقط، وخرجتْ منه الملائكة.

وقد جاء لفظ ﴿رَّسُولٍ﴾ منكرًا في السياق؛ لإفادة العموم، أي: كلّ رسولٍ ارتضاه الله، دون تعيين، فضلًا عن أنّ التنكيرَ يُضفي تعظيمًا وتفخيمًا على شأن هذا الرسول؛ لكونه محلّ اصطفاء إلهي، ومحلّ اطلاع على بعض من غيبه تعالى، وهو مقامٌ رفيع لا يُنالُ إلا باختيارٍ رباني مخصوص.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 500، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 249.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 248.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 249.

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾:

تفريعُ حراسةِ الغيب على اختصاصِ الله به تعظيمٌ لشأنه

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ للتفريع، أي: فرّعتْ على ما دلّ عليه السياق من عزّة علم الغيب؛ بكونها سببًا لحراسة من يُطلع عليه؛ ليؤديه إلى من أمر به - كما أمر به - وفي هذا التفريع تمييزٌ للغيب عن علمِ الكهان، وإجلالٌ للرسل وإعظامهم وتبجيلهم وإكرامهم[1].

دلالة التأكيد بـ(إن) في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾:

توكيدٌ لما تضمّنه الاستثناء من إظهار الغيوب المتعلقة بالرسالة

في استعمال البيانِ القرآنيِّ لحرفِ التأكيد (إنّ)، وفي بناء الجملة اسمية، تقريرٌ وتوكيدٌ لما تضمّنه الاستثناء السابق من الإظهار، وتحقيقٌ لوقوعه، وتمييزٌ واضحٌ لهذا الإظهار الإلهي للغيب عن دعوى الكهان، الذين يستمدّون باطلهم من الجان، وفي ذلك أيضًا تأكيدٌ لحفظ الله لما يظهره لرسله من الغيوب المتعلقة بالرسالة[2]، فإنّه تعالى يجعلُ من جميع جوانب الرسول حين يُظهره على شيء من غيبه حرسًا من الملائكة يحيطون به، يحفظونه من تسرُّب الشياطين أو اقترابهم ممّا أوحاه الله إليه من هذه الغيوب.

بلاغة التشبيه في الفعل ﴿يَسْلُكُ﴾:

تصويرٌ لشدّة التصاقِ الحفظ بالرسول بما يدلّ على عظيم العناية الربانية

يُخبرُ اللهُ تعالى أنَّه إذا شاء أنْ يُطلعَ أحدَ رُسُله على شيءٍ من علم الغيب؛ فإنَّه يُرسلُ إليه ملائكةً يحفظونه من الشياطين من جميعِ الجهات، وقد عبّر عن هذا الحفظ بقوله: ﴿يَسْلُكُ﴾، على سبيل التشبيه البليغ، فشبَّه اتصالَ الملائكة بالرسول، وحراستهم له عند تبليغ الوحي، بما يُدخَل في الشيء كالسلك في الجوهرة، لما فيه من النفوذ والدقّة والانسياب من غيرِ انحرافٍ أو تعريج عن المقصود، وهو تصويرٌ يدلّ على شدةِ القرب والتلازم، ففي هذا التعبير دلالةٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 502.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 09/ 48.

بلاغيةٌ على مدى العناية الربانية بالوحي، وشدة التصاق الحفظ بالرسول، حتى كأنه جزءٌ من ذاته؛ تحقيقًا لوعده سبحانه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9][1].

دلالة التعبير بالفعل ﴿يَسْلُكُ﴾ مضارعًا:

حِفظُ الله لما يظهره لرسله من غيوبٍ لا ينقطع

التَّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله: ﴿يَسْلُكُ﴾؛ لإفادة التجدّد الحدوثي، أي: كلما أرسلَ اللّهُ رسولًا، وارتضاه، فإنّ حفظه يتكرّرُ، ويتجدّد، ولا يكون أمرًا وقعَ في الماضي، وانتهى، وهذا يتناسبُ مع مقامِ سُنن الله في الوحي في حفظ وحيه، وفي المضارعة أيضًا إفادةٌ لتصوير اليقظة الدائمة لحفظِ الوحي من قِبَل جنود الحراسة الإلهية.

دلالة التعبير بالظرفية بقوله: ﴿بَيْنِ يَدَيْهِ﴾:

الدقةُ في تصويرِ الحفظ الإلهي

آثرَ البيانُ الحكيم التعبيرَ بالظرفية ﴿بَيْنِ﴾ دون لفظ أمام أو قدّام؛ لكونها أدقَّ وأوسعَ دلالة، فإنّها تعني المسافة القريبة جدًّا التي تكون تحت نظره وتحكّمه، وهذا أبلغُ في الدلالة على الحفظ، في حين أنّ لفظ (أمامه) قد يدلّ على مجرّد الاتجاه.

دلالة الإضمار في قوله: ﴿يَدَيْهِ﴾:

خصوصية وخفاءٌ في العناية والحفظ للرسول المرتضى

آثرَ النظمُ الحكيم الإضمار في قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ دون التصريح بذكر الرسول، فلم يقلْ: (من بين يدي الرسول)؛ ليُشير بذلك إلى العناية الخاصة والسّريَّة في حفظه؛ إذ يوحي الإضمار بالخصوصية والخفاء في الحفظ دون حاجة إلى الإعلان، ويُراعي بذلك الإيقاع والتناسق الفني في السياق؛ إذ إنّ ذكر الاسم الصريح قد يُثقلُ الجرس الصوتي في آياتٍ ذات إيقاع متناغم.

بلاغة الكناية في قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾:

عبّر البيانُ الحكيم بقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ عن الجهة التي يعلمها ذلك الرسول، وبقوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ عن الجهة

(1) تهاني باحويرث، بحث الأساليب البلاغية في سورة الجن، ص: 183.

التي تغيبُ عن علمه، فصار ذلك كنايةً عن كلِّ جهةٍ، أو أنْ يكون ذكرُ الجهتين دلالةً على كلّ الجهات، ولكنه خصّ هاتين الجهتين بالذكر؛ لأنّ العدو متى أعريت واحدة منهما؛ أتى منها، ومتى حفظت؛ لم يأتِ من غيرهما؛ لأنّه يصير بين الأوّلين والآخرين[1]، والكنايةُ هنا تُضفي على النصّ قوّة بلاغية تجعله أكثر تأثيرًا وإيحاءً، فهو يخلقُ صورة حيوية ومباشرة للحراسة المتكاملة التي تحيطُ بالرسول، ويثيرُ في الذهن شعورًا بالأمان التامّ واليقظة الدائمة.

صـورةٌ حيويةٌ ومـبـاشـرة لـلـحـراسـة المتكاملة التي تحيطُ بالرسول

سر التعبير بالمصدر ﴿رَصَدًا﴾:

عبّر البيان القرآنيُّ عن الملائكة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ بلفظ المصدر ﴿رَصَدًا﴾، لا باسم الفاعل (راصدين) أو الاسم الصريح (الملائكة)؛ لما في التعبير بالمصدر من مبالغة في تصوير حالهم؛ إذ المصدرُ يدلُّ على ذات الفعل ودوامه، فكأنَّهم الترقّب ذاته، لا يغفلون، ولا يفترون عن الحفظ والرقابة[2]، وهذا أدقّ في الدلالة على شدّة الحراسة الإلهية، وتكثيف الحفظ للغيب الموحى به، حتى لا يتسلّل إليه أحد، خاصّة من الجن، فلو قيل: (ملائكة)؛ لكان ذلك إخبارًا عن الفاعل فقط، دون تصوير لهيئة الفعل ودوامه، أما التعبير بـ﴿رَصَدًا﴾؛ فجمَع بين الدلالة على الفاعل ووصف حاله، فجاء أبلغ وأشد أثرًا.

مـبـالـغـةٌ في بيان حفظِ الله للغيب بحرس لا يغفلون

نكتة تنكير لفظ ﴿رَصَدًا﴾ وسر تأخيره:

نكّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿رَصَدًا﴾؛ لإفادة التفخيم والتعظيم والتهويل، فهو رصَدٌ عظيم الشأن، لا يُدرَك عدده، ولا يُقدَّر خطره.

رصَـدٌ عـظـيـمُ الشأن، لا يُدرَك عدده، ولا يُقدَّر خطره

وقد جاء به متأخرًا، فلم يقل: (يسلك رصدًا من بين يديه)؛ للتشويق والتدرُّج نحو المفاجأة، فالأسلوبُ بدأ بالوصف المكاني:

(1) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 4/ 410.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 478.

﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾، ممّا يشوّق النفس، وتتساءل: من الذي هناك؟ ليتناسب مع التناسق الصوتي والإيقاعي مع فواصل السورة، وهي ﴿أَمَدًا﴾ و﴿عَدَدًا﴾ و﴿أَحَدًا﴾، ويُبرز الحراسة كأنّها النتيجة الحتمية للإطلاع على الغيب.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(ارتضى) و(اصطفى):

الارتضاءُ: هو اختيارٌ وقبولٌ وموافقة، فأصله من الرِّضا، وهو ضدّ السخط[1]، أما الاصطفاءُ؛ فأخْذُ ما يصفو واختيارُه واستخلاصه، فأصله من الصفو، ويدلّ على خُلوصٍ من كلّ شَوْبٍ[2]، أي: أخذَ أصفَى جِنْسه أو أجوده[3]، وكأنّ الارتضاء يركّز على رضا الفاعل، في حين يُشيرُ الاصطفاءُ إلى صفةٍ في المفعول جعلته أهلًا للاصطفاء، وقد آثرَ البيان القرآني استعمالَ لفظ ارتضى هنا؛ للدّلالة على أنّ الغيبَ لا يطَّلعُ عليه إلا رسولٌ قد قبله اللّه، ورضي عنه كلّ الرِّضا، ووافقَ على اطلاعه على ما يشاء من الغيب.

الرسولُ الذي اختاره اللهُ تعالى؛ ليطّلعَ على الغيب، هو من حَظيَ برضاه وموافقته

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رضي)، وأحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (رضو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرازي، مختار الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (صفا)، (صفو).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صفو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"